STRATEGIECS®

ستراتيجيكس®

حرب غزة والانتشارات العسكرية للقوى العظمى في المنطقة

حقوق النشر محفوظة © 2023

أنس القصاص

خبير في الشؤون الدولية والاستراتيجية وقضايا الحرب والسلام

شـكلت العملية العسـكرية التي بدأتها الفصائل الفلسـطينية في السابع من أكتوبر 2023 لحظة كاشفة للكثير من الديناميكيات الإقليميـة والدوليـة والأدوار النسـبية لـكل طـرف في هـذه المعادلة التي تتعدى مسـألة الأمـن الإقليمي إلى الأمـن الدولي. ففي اليـوم الـذي زار فيـه الرئيـس الأمريكـي جو بايدن إسـرائيل، كانـت هناك زيارة أخـرى لا تقل أهميـة وهي زيارة الرئيس الروسـي فلاديميـر بوتيـن إلـى بكيـن للقـاء الرئيس الصيني تشـي جيـن بينج لتباحـث الأمور المشـتركة بيـن البلدين وعلى رأسـها الأزمة الأوكرانيـة وأمن الباسـيفيك، وبالتأكيد حالة الأمن في الشـرق الأوسـط.

أطر عامة حول هذه الحرب

من الهام قبل الانطلاق في الحديث عن الانتشارات العسكرية التي أتت استجابة لتلك الحرب، أن نقوم بتحديد بعض الأطر العامة التي تحدد موقف القوى الدولية إزاء هذه الحرب:

أولا: ليس في صالح الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين والأسيويين فتح جبهة مواجهة جديدة خارج أوكرانيا والباسيفيك. فالولايات المتحدة وحلفائها بالكاد يستطيعون المواجهة في تلك الساحات الصعبة والتسابق في ماراثونات القوى الدولية في هذه اللحظات الحاسمة التي قد تغير شكل النظام الدولي وقواعده وتراتبية فاعليه. وفي المقابل، فإن اندلاع نزاع إضافي سيكون بمثابة حصان طروادة للحلف الأمريكي ويصب مباشرة في صالح الصين وروسيا.

ثانيا: تعاني المنظومة الأمنية في شرق المتوسط من اضطراب فادح بعد أن تباعدت المسافات بين روسيا وإسرائيل منذ ضم روسيا للقرم في 2014 حيث امتثلت إسرائيل لقائمة العقوبات المفروضة على روسيا، ثم التدخل العسكري الروسي في سوريا إلى أن وصلنا إلى محطة الأزمة الأوكرانية في ربيع 2022 والتي قدمت خلالها إسرائيل أسلحة ومعدات وخبرات كثيرة للأوكرانيين في إطار التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لمجابهة روسيا.

ثالثا: أدت وتيرة التفاهم الإيراني العربي التي تزايدت بعد الاتفاق الإيراني السعودي الذي رعته الصين إلى بدء اندماج إيراني في الفضاء السياسي العربي بما يعنيه ذلك من مخاطر مترتبة على مسار اتفاقيات السلام الذي ترعاه الولايات المتحدة بين إسرائيل وجوارها العربي.

رابعا: أن دخول منطقة الشرق الأوسط وخصوصا شرق المتوسط كنقاط حرجة في مسارات المشروعات الجيوسياسية الكبرى (لاسيما طريق الحرير والممر الاقتصادي بين الهند وأوروبا) قد زاد من معدلات التصادم بين تلك المشروعات في نقاط التقاطع الحرجة ومن ثم زاد من تكلفة أي نزاع.

محددات الموقف الأمريكي حيال هذه الحرب

بناء على ما سبق، فإنه يمكن فهم الموقف الأمريكي الداعم بصراحة لإسرائيل وما تبعه من خسارة دور الوسيط في سياق بعض الديناميكيات السياسية داخل الولايات المتحدة. فكثير من هذا الدعم الصريح يمكن عزوه لأربعة مرتكزات مهمة تحدد التوجه السياسي لإدارة الرئيس بايدن حيال هذا الحدث:

1- صيانة العلاقة الاستراتيجية مع إسرائيل وتأكيد التزامها بأمن الحليف التاريخي الأكبر والأقوى وإيقاف أي محاولة لتغيير المعادلة الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة وما يواكب ذلك من خسائر جانبية مثل توتر العلاقة مع بعض الدول العربية أو تراجع سمعتها -المتضررة بالأصل-لدى الشعوب العربية.

2- اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية المقبلة التي سيتقدم لها بايدن واهتمامه الكبير بدعم جماعات الضغط اليهودية والإنجيلية وخلافه. وبالتالي فلابد من إظهار الدعم الواضح لإسرائيل في هذا المضمار.

3- ملف الرهائن الأمريكيين لدى حماس والمتصل اتصالا وثيقا بالانتخابات؛ بالنظر إلى التجربة التاريخية المريرة للرئيس جيمي كارتر الذي لم تشفع له منجزاته الكبيرة في إنقاذ منصبه من قضية الرهائن في السفارة الأمريكية في طهران ومني هو وحزبه بهزيمة ساحقة أمام الرئيس الجمهوري رونالد ريجان.

4- تمرير حزمة المساعدات العسكرية لأوكرانيا والباسيفيك وإعادة هيكلة المجمع الصناعي الحربي المتضرر جدا من الأزمة الأوكرانية والتي كانت مرفوضة منذ فترة من قبل الكونجرس الذي يسيطر عليه الجمهوريون. فقد تم إدماج إسرائيل داخل الحزمة التي تبلغ 105 مليار دولار، حيث تتلقى إسرائيل قرابة 9 مليار دولار وذلك قد يحد من احتجاجات الجمهوريين خاصة المعروفين باهتمامهم والتزامهم بالعلاقات مع إسرائيل. وفي حال تمرير هذه الحزمة، فإنه سيكون نصرا لبايدن يضمن له ولاء المجمع الصناعي الحربي ويمنحه عبورا ميسرا للجولة الانتخابية القادمة.

الانتشار العسكري الأمريكي

من أجل ذلك كله، فقد تم اتخاذ قرارات كبرى مثل إرسال حاملة الطائرات (يو أس أس جيرالد فورد - USS Gerald R. Ford) إلى شرق المتوسط ووعود بتحريك حاملة أخرى لنفس المنطقة وهي (حاملة الطائرات «يو أس أس دوايت أيزنهاور- USS Dwight D. Eisenhower)، وهو إن حدث سيكون من المرات القليلة في تاريخ الصراع الدولي بعد الحرب العالمية الثانية التي يتم فيها نشر مجموعتي حاملات طائرات في منطقة واحدة.

لكن فيما يتعلق بنشر الحاملة جيرالد فورد وهي أحدث حاملة في الأسطول الأمريكي مع نصف مجموعتها الضاربة على الأقل والإبقاء على باقي المجموعة في البحر الأدرياتيكي لضمان التوازن الأمني في المنطقة، فقد انضم للحاملة فورد الطراد نورماندي والمدمرات توماس هادنر وراميدج وروزفلت وكارني وكلها من طراز أرلي بيرك المتطور والحديث نسبيا.

وبحسب البيانات الواردة، فقد تم توزيع مجموعة حاملات الطائرات تلك المعروفة كوديا بالمجموعة الثانية عشرة (CSG 12) على مواقع ومهام متفرقة في شرق المتوسط؛ بل وتواجد بعضها في مواقع خارج شرق المتوسط في بعض الفترات مثل المدمرة (يو أس أس كارني - USS Carney) التي تم تسجيل مرورها من قناة السويس صباح يوم 19 أكتوبر وقامت في نفس اليوم مساءا باعتراض صواريخ ومسيرات تستهدف إسرائيل في مناطق قريبة من شمال البحر الأحمر. ولا يعرف حتى الآن إن كان هذا التواجد في البحر الأحمر بناءا على معلومات سابقة بإطلاق صواريخ أم أنها كانت تقوم بأعمال تمشيط اعتيادية في المنطقة. وفي 24 أكتوبر انضمت مدمرة أخرى إلى البحر الأحمر وهي المدمرة توماس هاندر، التي رصدت في شمال البحر الأحمر على بعد 107 كيلومترات عن الشواطئ السعودية، لتنضم إلى نطاق خدمة الأسطول الأمريكي الخامس وتلتحق بالمدمرة الأمريكية (يو أس أس كارني). لكن نمط الانتشار الواسع للمجموعة الثانية عشرة في المنطقة لا يدل مطلقا على الاستعداد للقيام بضربة عسكرية.

وجدير بالذكر أن تنوع المهام التي قامت بها تلك المجموعة الضاربة أدى إلى أن تظل الحاملة جيرالد فورد في وقت طويل بمفردها وتم التقاطها بمفردها لمرات كثيرة من قبل بعض الأقمار الصناعية وهذا يؤكد على انخفاض درجة المخاطر في المنطقة.

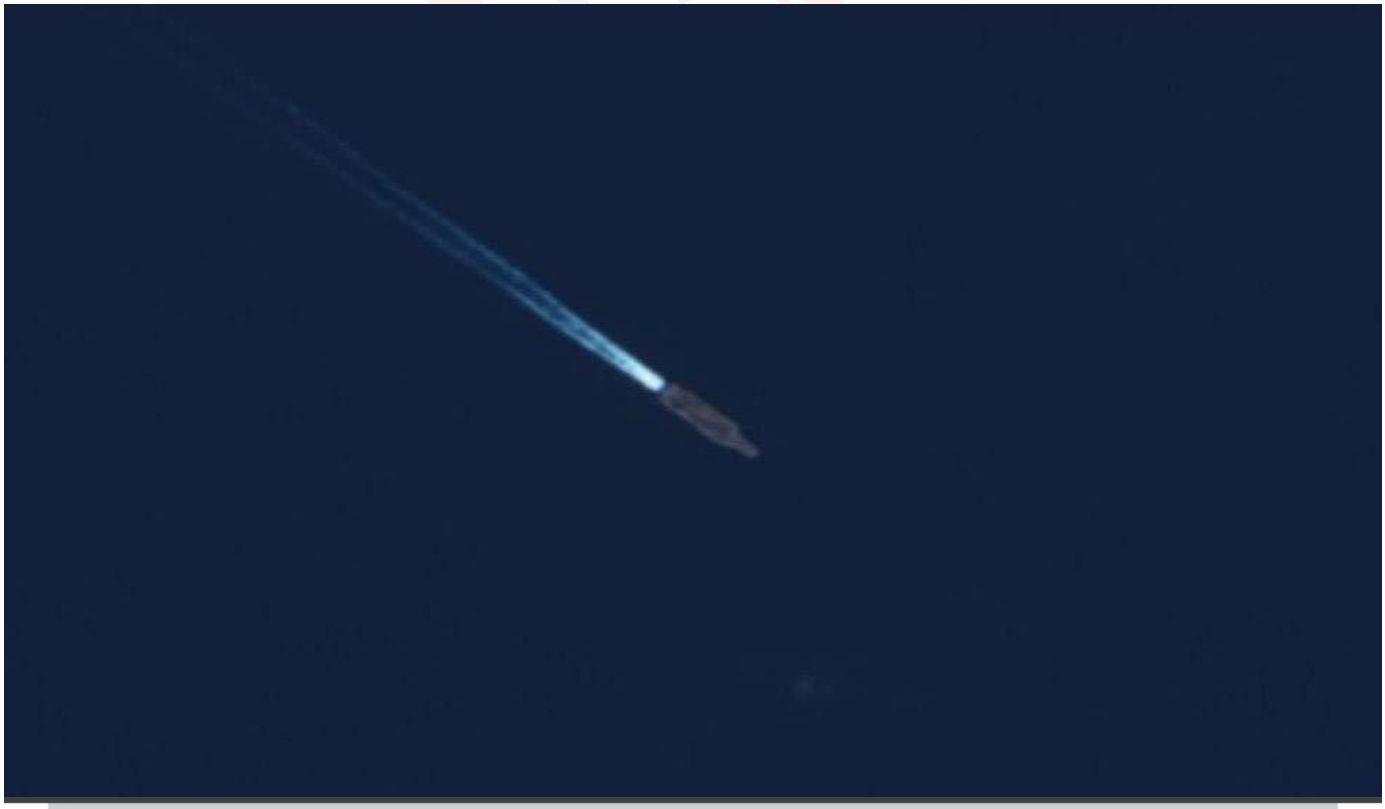

حاملة الطائرات الأمريكية (يو إس إس جيرالد فورد- USS GERALD R. FORD) في منطقة شرق المتوسط، يوم 18 أكتوبر. المصدر: SENTINEL-2

في سياق متصل، فقد تم رصد الحاملة جيرالد فورد في شرق المتوسط يوم 16 أكتوبر الجاري وهذا حسب المعلن في البيانات الرسمية الصادرة عن الإدارة الأمريكية.

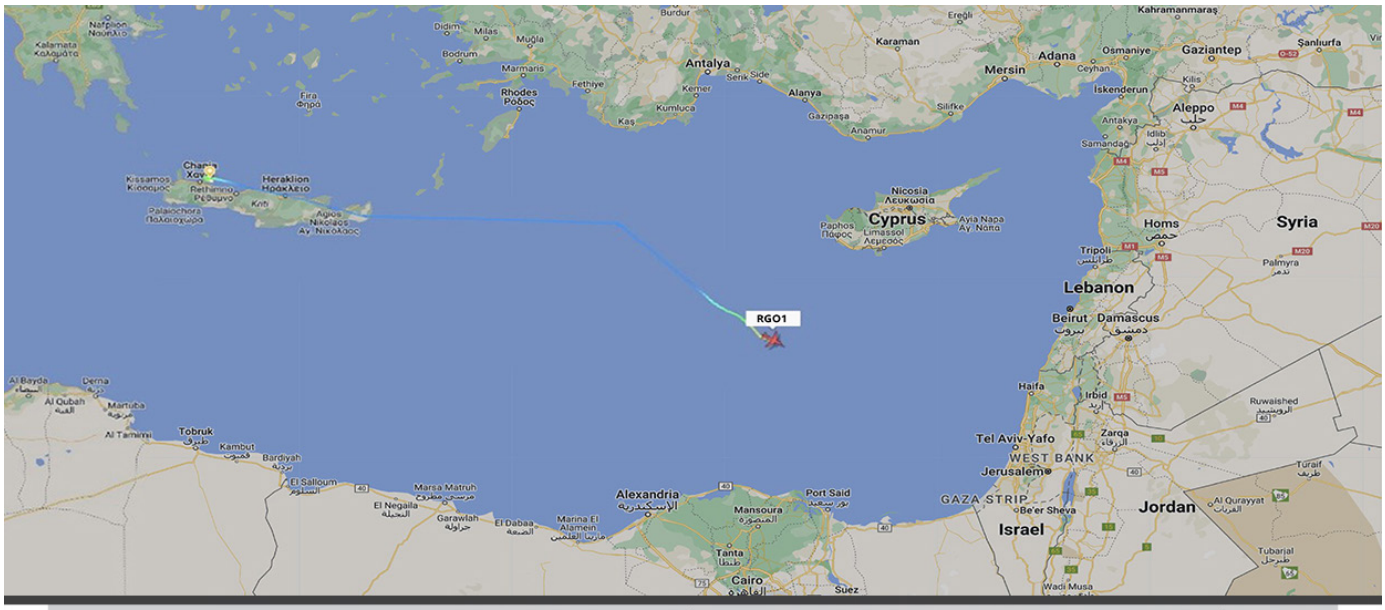

حاملة الطائرات الأمريكية (يو إس إس جيرالد فورد- USS GERALD R. FORD) قبالة سواحل قبرص يوم 16 أكتوبر. المصدر: خدمة DELOITTE DBRIEFS

لكن في صورة يوم 22 أكتوبر، تم رصد الحاملة في موقع قريب من جزيرة كريت اليونانية على بعد قرابة 1000 كيلومتر من سواحل شرق المتوسط.

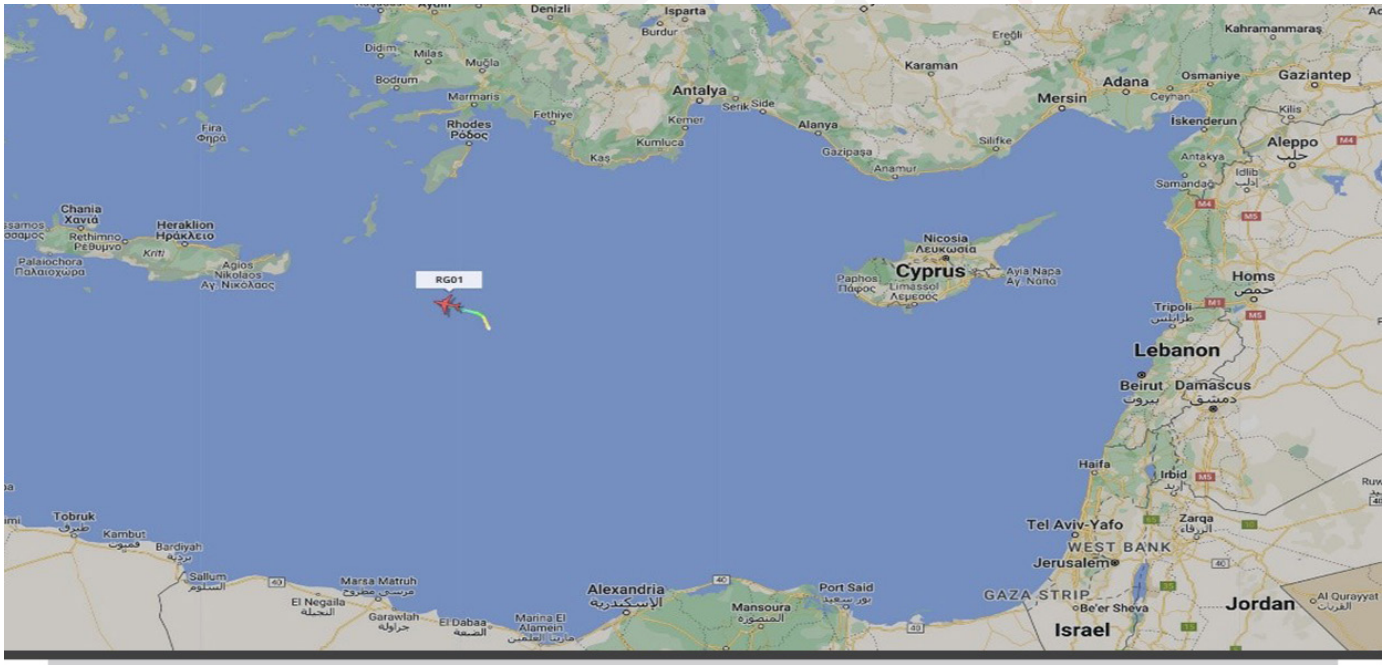

حاملة الطائرات الأمريكية (يو إس إس جيرالد فورد- USS GERALD R. FORD) على مقربة من جزيرة كريت اليونانية، يوم 22 أكتوبر. المصدر: خدمة DELOITTE DBRIEFS

ولهذا التراجع سيناريوهات عديدة منها التزود بالوقود من محطة الإمداد اللوجستي التابعة للبحرية الأمريكية في سودا باي بجزيرة كريت وذلك بسبب عدم وجود سفن دعم لوجستي مرافقة للمجموعة 12 في شرق المتوسط.

كما يمكن إرجاع ذلك إلى الرغبة في التأمين الزائد للحاملة ومجموعتها بالابتعاد على مسافة مريحة عن شواطئ شرق المتوسط حيث يتزايد تهديد حزب الله اللبناني الذي يتوقع امتلاكه صواريخ بالستية وجوالة يمكنها ضرب الحاملة أو على الأقل الإضرار بها على مسافة 600 كيلومتر على الأقل.

فيما كشفت الأقمار الصناعية نشاطا مكثفا لطائرات الاستطلاع والإنذار المبكر الأمريكية في شرق المتوسط. فقد تم التقاط طائرة (بوينغ بيه-8 بوسيدون P-8 Poseidon) الخاصة بالاستطلاع البحري مرات عديدة وفي مواقع متعددة شرق المتوسط.

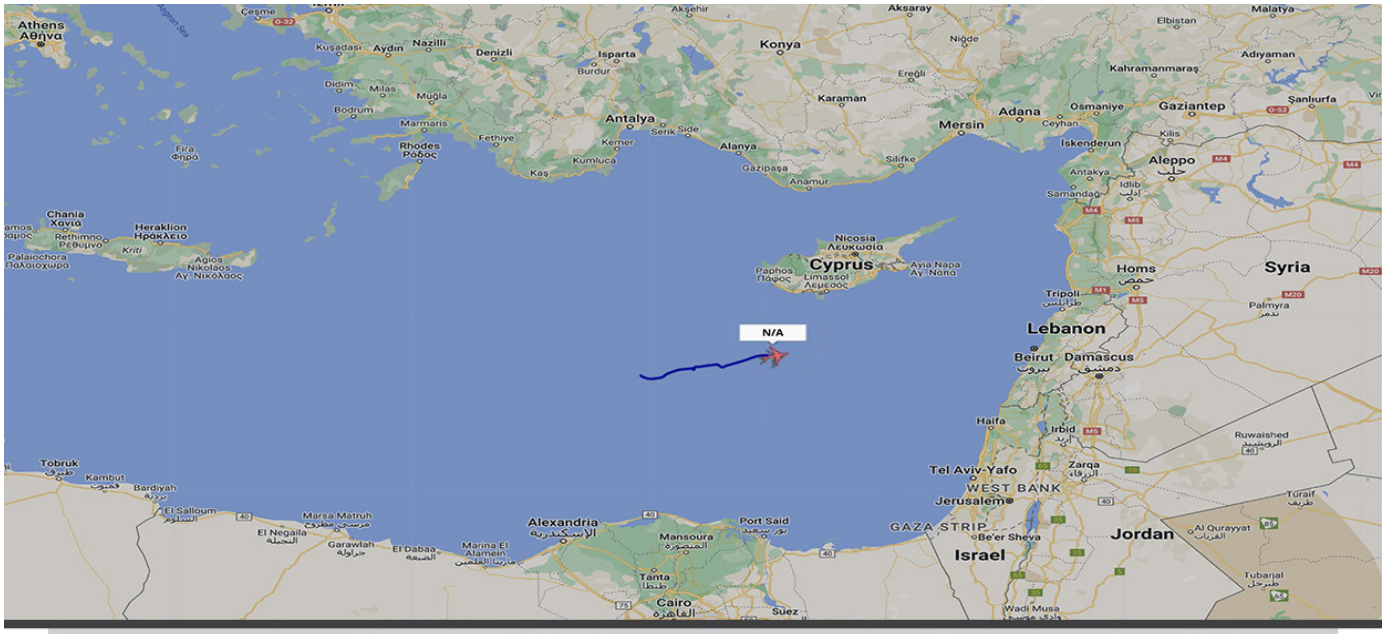

طائرة الاستطلاع البحري الأمريكية BOEING P-8 POSEIDON في منطقة شرق المتوسط. المصدر: خدمة FLIGHT RADAR

إلا أن مسار الطائرة بوسيدون لم يكن مكتملا على خدمات التتبع حيث فعلت خدمة التخفي قبل ظهورها في شرق المتوسط ثم عادت واختفت من جديد لتظهر في نهاية المطاف على مقربة من جزيرة صقلية الإيطالية. وهو ما يكشف عن تبعية تلك الطائرة لقاعدة سيجونيلا الجوية الأمريكية في صقلية.

في سياق موازي، توجد طائرة أخرى تقوم بنفس المهام تم رصد مسارها الكامل يوم 22 أكتوبر ويمكن الاسترشاد به لمعرفة ما الذي يدور في أروقة القيادة الأمريكية حتى اللحظة. فقد تم رصد المسار الكامل لطائرة استطلاع أمريكية من طراز (RC-135V/W Rivet)، يوم 22 أكتوبر حيث أقلعت من سودا باي بجزيرة كريت إلى شرق المتوسط وأخذت مسارا رأسيا على ساحل شرق المتوسط (لرفع الأوضاع الميدانية كاملة) ثم عادت أدراجها إلى جزيرة كريت.

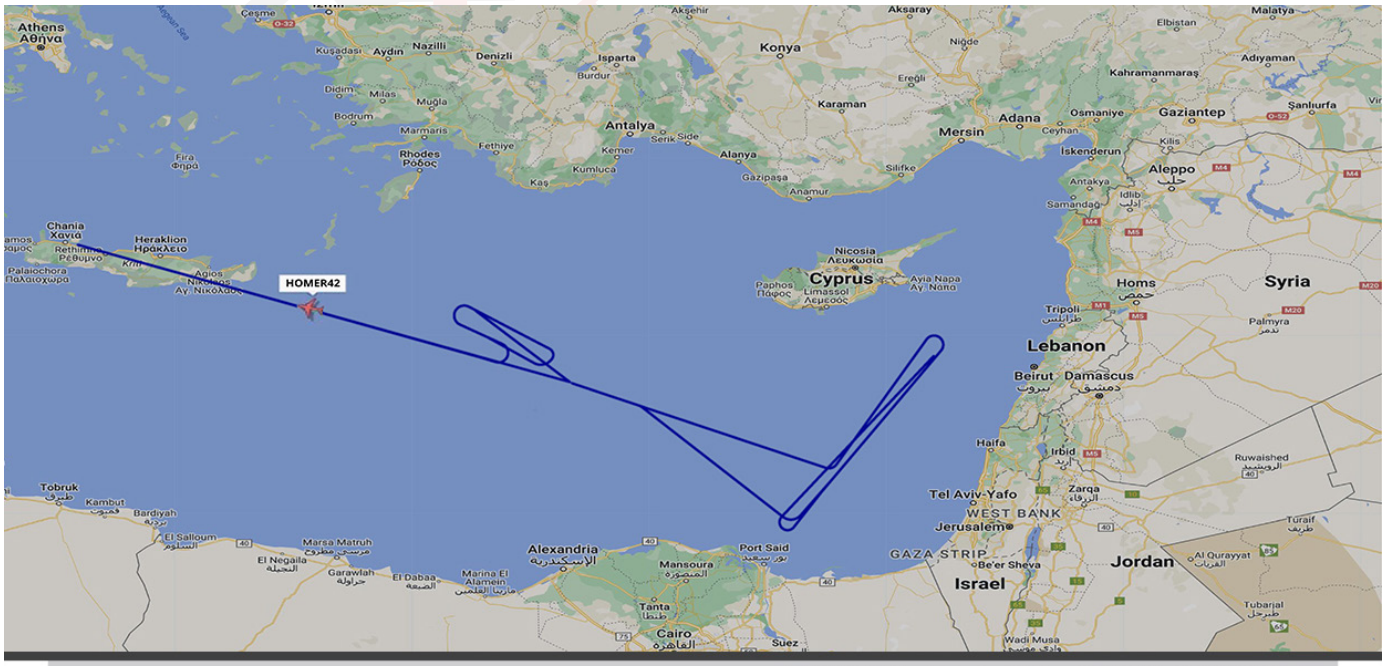

مسار طائرة الاستطلاع الأمريكية RC-135، يوم 22 أكتوبر. المصدر: خدمة FLIGHT RADAR

كل تلك التفاصيل تشير إلى احتمال أن تستقر الحاملة جيرالد فورد قرابة شواطئ كريت وفق تقدير محتمل بعدم الحاجة لها حاليا، مع الاستعانة بطلعات طائرات الاستطلاع والإنذار المبكر عبر الأصول الجوية المتاحة في قواعد المتوسط وجنوب أوروبا. وهو ما يتماشى مع التراجع في الخطاب السياسي الأمريكي عبر الأيام الماضية.

وفي ذات السياق، فقد رصدت طائرتي نقل جوي تتبع القوات الخاصة الأمريكية تقلع من قاعدة (لاييس فيلد) الجوية الأمريكية في جزر الأزور البرتغالية قبالة مضيق جبل طارق وكان آخر موقع شوهدت فيه قرابة سواحل جزيرة كريت.

كل هذه التفاصيل تشير إلى احتمال استخدام المرافق العسكرية والبحرية في جزيرة كريت كموقع قيادة متأخر مع استمرار مراقبة التطورات على الأرض.

لكن توجد نقطة هنا يجدر الإشارة لها؛ وهي أن مجموعة الحاملة جيرالد فورد قد دخلت نطاق القيادة الأوروبية الأمريكية ((EUCOM مؤقتا وخرجت من نطاق مسؤولية القيادة الوسطى وفي ذلك إشارة رمزية إلى استمرار الأهمية القصوى للمسرح الأوروبي على عمليات الأسطول السادس الأمريكي حتى هذه اللحظة.

يأتي ذلك في حين أن الترجيحات القادمة من الولايات المتحدة وصور الأقمار الصناعية لمجموعة حاملة الطائرات أيزنهاور تشير إلى اتجاهها نحو الخليج العربي حيث يرجح أن تعبر قناة السويس يومي 3 أو 4 نوفمبر، قادمة من ميناء نورفولك ولاية فيرجينيا.

غير بعيد عن الانتشار العسكري الأمريكي، يأتي الانتشار العسكري البريطاني – وفقا للبيان الرسمي لوزارة الدفاع البريطانية -عبر سفينتين للدعم اللوجستي هما لايم باي وأرجوس. وتمت مشاهدة كلتا القطعتين في قاعدة ديكيليا البحرية البريطانية في قبرص يوم 20 أكتوبر الماضي.

وهذا يعني أن الهدف الأساسي للقوات المسلحة البريطانية في هذا التوقيت هو إجلاء الرعايا في حال اتساع الاشتباكات وتعمق النزاع ليصبح حربا إقليمية.

الانتشار العسكري الصيني

تداولت الصحف العالمية في الثامن عشر من أكتوبر نبأ دفع الصين ببوارج حربية ستة إلى الشرق الأوسط وقامت هذه البوارج بتدريبات مشتركة مع البحرية العمانية ثم انطلقت بعد ذلك إلى مكان غير معلوم. ووفقا لبيان المتحدث العسكري باسم وزارة الدفاع الصينية، فقد تم الدفع بمجموعة مهام المرافقة والحماية الرابعة والأربعون حيث وصلت غرب خليج عدن في 2 أكتوبر وأجرت تدريبا مشتركا مع مجموعة المرافقة الخامسة والأربعون ثم انطلقت نحو بحر عُمان وقامت بعمل تدريب مشترك مع البحرية العمانية في 11 أكتوبر ثم غادرت المياه العمانية متجهة إلى الكويت في 16 أكتوبر.

إن مجموعات المرافقة تعد تكتيك جديد للبحرية الصينية تحاول به منافسة البحرية الأمريكية في مهام تأمين أعالي البحار وهي الآلية التي تحتكرها الولايات المتحدة وحلفائها وخصوصا بريطانيا وفرنسا منذ عقود وتؤثر بشكل فعال في السيطرة على النظام العالمي ومجرياته عبر فرض النفوذ في مسارات الاتصال البحري وطرق التجارة. وقد بدأت الصين في تشغيل هذه المجموعات منذ 2021 عندما حققت الصين طفرة إنتاجية كبرى في إنتاج الفرقاطات وبات ممكنا تأمين بحار الصين مع إرسال هذه المجموعات للخارج.

وتركز الصين على إرسال هذه المجموعات نحو الشرق الأوسط لعدم امتلاكها سوى قاعدة بحرية وحيدة في العالم في جيبوتي كما أنها إشارة إلى أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية بالنسبة للصين وخصوصا فيما يتعلق بتأمين مسارات النفط.

وتتواجد الآن ثلاث مجموعات مرافقة بحرية، كل مجموعة منها تتكون من مدمرة وفرقاطتين وسفينة دعم لوجستي:

الأولى: المجموعة الرابعة والأربعون وتتواجد الآن في الكويت ويتوقع أن يعاد نشرها إلى القرن الأفريقي ثم تعود إلى الصين في نوفمبر.

الثانية: المجموعة الخامسة والأربعون المتواجدة الآن في القرن الأفريقي والتي ستعود للديار مع تسلم المجموعة الرابعة والأربعون محلها أواخر الشهر الحالي.

الثالثة: المجموعة الثالثة والأربعون وهي مجموعة تم ابتعاثها لخليج غينيا منذ يوليو الماضي من أجل توطيد العلاقات مع دول غرب أفريقيا وتمت إعادة نشرها في منطقة الباسيفيك منذ سبتمبر الماضي.

فيما يتعلق باحتمالية اشتباك مجموعة المرافقة الصينية فإنه احتمال ضئيل جدا، حيث أن القيادة الصينية ستستمر في نهجها بعدم الانخراط في الصراعات الدولية كما أن المجموعة لا يتوقع بتاتا أن تتخطى منطقة جنوب البحر الأحمر بل وربما تبتعد في حال دخول الحوثيين على خط الصراع لعدم الاشتباك بالخطأ مع القوة الأمريكية في باب المندب.

الانتشار العسكري الروسي

تتبنى روسيا موقفا صريحا فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وهو الموقف الأكثر صراحة في تاريخ العلاقات بين روسيا والمنطقة وذلك للأسباب التي تم ذكرها آنفا في الإطار العام للصراع. **مع ذلك فإن الموقف الروسي يحكمه إطارين:**

الأول: إدانة صريحة للموقف الإسرائيلي واستخدام خطاب متعاطف مع مأساة الفلسطينيين من أجل استدرار التعاطف العربي مع القضية ومن ثم استمرار الصراع.

الثاني: عدم التدخل بأي حل كان ممكنا أو القيام بأي دور فاعل باتجاه الحل ففي استمرار الصراع مصلحة كبرى للروس كما أسلفنا.

في هذا الإطار، يمكن فهم الإعلان الروسي عن دوريات المسح البحري في البحر الأسود الذي تقوم به طائرات ميج 31 التي تحمل صواريخ كينجال الفرط صوتية والتي بإمكانها اصطياد أهداف في شرق المتوسط في حال ضربت من أدنى نقطة في البحر الأسود. وهذه الصيغة تعتبر متوازنة من أجل استمرار العمليات في أوكرانيا مع التذكير بخطورة الوجود في البحر الأسود وكذلك بأن اهتمام روسيا بأوكرانيا لا يعني عدم قدرتهم على الفعل في أزمة شرق المتوسط.

غير بعيد عن ذلك، فإنه لا توجد أية أنشطة روسية في المتوسط سوى غواصة ديزل من طراز كيلو تم رصدها في مضيق دوفر في القناة الإنجليزية قادمة من البحر الأسود ومتجهة إلى بحر البلطيق. كما تقوم روسيا بانتظام بتسيير رحلاتها من القوقاز إلى أفريقيا عبر قاعدة حميميم العسكرية في سوريا.

وفقا لما سبق، نستنتج أنه لا توجد أدنى رغبة في جر منطقة شرق المتوسط إلى صراع دولي، بل على العكس توجد رغبة متزايدة من قبل الفرقاء الدوليين وخصوصا الصين وروسيا في أن تتورط فيه الولايات المتحدة وحدها من أجل أن تقع في ورطة التمدد الإمبريالي Imperial Overstretch التي تحدث عنها المؤرخ بول كينيدي في كتابه المنشور في الثمانينيات (صعود وأفول القوى العظمى من عام 1500 إلى عام 2000). وهذه الورطة ستستدعي بالضرورة أن تخفف الولايات المتحدة قبضتها عن المسرحين الأوروبي والباسيفيكي وهو ما يعني حدوث نقاط تحول كبرى لصالح روسيا والصين.

وهذه النقطة تنبهت إليها الولايات المتحدة جيدا ويعتبر انخراطها في الصراع الحالي هو انخراط خطابي فقط. لكنه عندما يحين الوقت للانخراط الحقيقي في حالة تمدد الصراع فالأغلب أن تؤدي الولايات المتحدة دورا شكليا ضمن إطار محدود.

تنويه: حقوق النشر والتأليف محفوظة لمركز STRATEGIECS Think Tank ولا يجوز استخدام أي من المواد المنشورة على الموقع الإلكتروني أو إعادة إنتاجها أو نقلها كلياً أو جزئياً بأي صيغة أو وسيلة دون الإشارة إلى مصدرها.

STRATEGICS®

THINK TANK

ستراتيجيكس®

STRATEGIECS®

THINK TANK

@ strategiecs

www.strategiecs.com